الأهرام

المصدر : الاهرام
التاريخ : ٦ فبراير ١٩٩٦

ملف الاسبوع للمصريين مايزال مستمرا

١ إسرائيل باعت الأسرى لمستشفيات أوروبا بالقطعة!

.. ماراوه لى هذا التاجر الاسرائيلى في باريس بخصوص اسرانا المصريين هو شئ بشع، تقشعر منه الابدان، لانه يكشف عن انحطاط السلوك الاسرائيلى الذى خالف ابسط الاعراف المتفق عليها دوليا بشان معاملة اسرى الحرب كما ضرب بالحدود الدنيا لقواعد التعامل الانسانى عرض الحائط والسماء ايضا!

والحكاية هى ان المصادفة وحدها قادتنى الى طريق هذا التاجر الذى التقيت به في واحد من المحلات الكثيرة المتخصصة فى بيع التحف والانتيكات المصرية القريبة من حى «مونمارتر» السياحى فى باريس.

وما أن عرف الرجل انى مصرى، حتى أخذ يتودد الى، ويحدثنى حديثا مفعما بالشجون عن مصر التى يعشقها - كما يقول - عشقا لايدانيه اخر .. ويذكر لى بعض التفاصيل الدقيقة عن الاحياء الشعبية الشهيرة في القاهرة حتى خيل الى انه ولد بها .. وذكر لى «معلومة ديموغرافية» ليست جديدة تماما، لكنها أدهشتنى لأنه كان يحفظها عن ظهر قلب عندما قال : «ان عدد سكان مصر زاد عشرين مرة على عددهم فى زمن حملة نابليون بونابرت، وزاد ستة اضعاف عما كان عليه فى بداية القرن العشرين، وزاد ثلاث مرات عما كان عليه فى زمن الحرب العالمية الثانية».

.. وقبل ان أنساله عن اهتمامه الى حد «الولع» بمصر والمصريين قال لى الرجل في ابتسامة شاحبة : انا احب مصر كثيرا، لان فى احشائى قطعة منها!

ثم استرسل يروى قصته التى صدمتنى بعنف فقال انه كان يعانى من داء عضال فى إحدى كليتيه. فنصحه الأطباء المعالجون ان يبحث له عن شخص يمكن ان يبيعه واحدة من كليتيه الصحيحتين لأن حياته مهددة ولا أمل فى اى علاج آخر.

واشار عليه احدهم بالعودة الى اسرائيل لعله يجد حلا لمشكلته الصحية بين الاقارب او الاصدقاء.

وهناك همس أحد الرفاق فى أذنه قائلا : لاتنزعج فكل ماتريده موجود بوفرة بين الأسرى المصريين وهم شباب في عمر الزهور، أقوياء البنية، واصحاء، وما عليك سوى ان تصطحب معك طبيبا يقوم بفحص اكثر من أسير حتى يعثر لك على الشخص المناسب، فتاخذه وتخلع من جوفه الكليتين معا إذا اردت، وليست فقط كلية واحدة.

وهنا ارتسمت - او هكذا ظننت - أطياف من امارات الحزن المفتعل على وجه التاجر وهو يقول : لقد علمت فى ذلك الوقت ان الأسرى المصريين فى اسرائيل كانوا «سوقا» لتجار قطع الغيار البشرية الذين يفدون من بعض الدول الاوروبية خصيصا لكى يحملوا معهم ما استطاعوا من أحشاء هؤلاء الجنود ثم يبيعوها للعرضى او للمستشفيات بأسعار خيالية.

ولقد رأيت بعينى راسى، عشرات من الأسرى قد شقت بطونهم أمامى بايدى طلبة اطب الصغار الذين كانوا يتدربون على جراحة عمليات نقل الأعضاء التى كانت حديثة فى ذلك الوقت ولم تتقدم تقنياتها كما هو حالها اليوم.

.. شعرت برغبة فى القئ امتعاضا مما أسمع، لكنى تماسكت بصعوبة وسألت التاجر الاسرائيلى الذى يحمل كلية مصرية فى جوفه عن موقف العسكريين الاسرائيليين المكلفين بحماية هؤلاء الأسرى، وكيف سمحوا بارتكاب هذه الجريمة .. فقال : كانت مشاعر الاسرائيليين فى ذلك الوقت مزيجا من الرغبة فى الانتقام والتشفى من مصر وجيشها .. ثم الرغبة فى التخلص من عبء وجود هؤلاء الأسرى أحياء.

ولذلك وفى البداية، حسبما ذكر لى ابن شقيقتى الذى شارك فى الحرب - كان الجنود الاسرائيليون يتسلون بين وقت واخر بقتلهم. بل حدث اكثر من مرة ان اخذوا معهم بعض الأسرى الى الصحراء. وجعلوهم «اهدافا» يتعلمون على اجسادهم الرماية، مرة وهم وقوف، ومرة أخرى وهم يجرون ..

وعندما لمعت فكرة بيع احشاء الأسرى كقطع غيار فى رؤوس البعض فرك العسكريون الاسرائيليون ايديهم من فرط السعادة لانهم بذلك يتخلصون للابد من الأسرى، ثم فى نفس الوقت يقبضون الثمن!

أما اسرانا - يرحمهم الله جميعا - فكانوا حسنى النية - كما يقول الرجل - يحسبون ان الفحوص الطبية تجرى عليهم من قبيل العناية بصحتهم، دون ان يخطر ببالهم أن سبب الفحوص هو التاكد من سلامة البضاعة قبل بيعها قطعا.. قطعا..

د. سعيد اللاوندى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية